جامعة تكريت

كلية التربية للعلوم الإنسانية

قسم اللغة العربية

محاضرات

الأدب العربي الحديث – النثر

للمرحلة الرابعة

محاضرة رقم(3)

إعداد

أ. د. إبراهيم مصطفى الحمد

2025 – 2024

النثر الحديث

في النصف الأول من القرن التاسع عشر، كان النثر في هذه الفترة ركيك الأسلوب يعتمد على المحسنات البديعية، مسيطرا عليه طريقة القاضي الفاضل على أساليب كتاب عصره ونهج نهجه، فبدت على أساليب هؤلاء مظاهر التكلف فأسرفوا في المحاكاة وأوغلوا في الصنعة، وتعمد تصيد الألفاظ والأساليب ذات البريق واللمعان.

في بدايات النثر الأدبي الحديث كانت القرائح حبيسة الأغراض الضيقة والمعاني التافهة، وقلّما كانت تتجاوز الرسائل الاخوانية، من تهنئة بمولود، أو تعزية بفقيد، أو معاتبة لصديق، وقلّما تعدى موضوع النثر هذه الحدود الضيقة ليلامس اهتمام الناس ويعالج شؤون المجتمع انطلق الفكر الحديث ناشطا وراح يرود آفاقا أرحب تتصل بالواقع وبالمجتمع، نتيجة انتشار أنوار النهضة في أرجاء المشرق العربي. وبدأت الأساليب تتحرر في بعض جوانبها من قيود التصنع اللفظي. غير أن فئة من الناثرين ظلت على تعلقها بالعبارات المنمقة، وراحت تجد فيها نمطا أدبيا متميزا لا يحسن التفريط به. ومن هذا المنطلق ساغ للشيخ ناصيف اليازجي خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر فن المقامات؛ فدأب على إحيائه، وجهد في النسج على منواله... وفي الوقت نفسه كان ثمة ناثرون رواد ومؤلفون كبار أخذوا يراوحون بين النثر المقيد والنثر المرسل، ترفدهم في الحالين موهبة فذة، وفي مقدمة هؤلاء أحمد فارس الشدياق، أحد أركان النهضة الفكرية، ورائد الصحافة الأدبية.

ويمكن القول بأن اتصال الشرق العربي بالغرب ظل قاصرا في أول الأمر على النواحي العلمية والفنية التطبيقية. أما النواحي الأدبية فظل فيها الاتصال معدوما. وطبيعي ألا تنهض اللغة وتظل عهودها السابقة جامدة راكدة مثقلة بالسجع والمحسنات البديعية واشتد احتكاك الشرق العربي بالغرب في منتصف القرن التاسع عشر و أرسلت طائفة من الشباب المصري إلى أوربا وعلى رأسها رفاعة الطهطاوي «الذي تعلم في الأزهر

وتخرج فيه، و رافق البعثة الكبرى الأولى لمحمد علي إماما لها. ولم يكتف بعمله، بل أقبل على تعلم اللغة الفرنسية، حتى أتقنها. وفي أثناء إقامته بباريس أخذ يصف الحياة الفرنسية من جميع نواحيها المادية والاجتماعية والسياسية في كتابه «تخليص الإبريز في تلخيص باريز». وعاد إلى مصر فاشتغل بالترجمة وعيِّن مديرا لمدرسة الألسن، وأخذ يترجم مع تلاميذه آثارا مختلفة من اللغة الفرنسية. وكان ذلك بدء النهضة الأدبية المصرية، ولكنه كان بدءا مضطربا، فإن رفاعة وتلاميذه لم يتحرروا من السجع والبديع، بل ظلوا يكتبون بهما المعاني الأدبية الأوربية. ومن الغريب أنهم كانوا يقرءونها في لغة سهلة يسيرة، ثم ينقلونها إلى هذه اللغة الصعبة العسيرة المملوءة بضروب التكلف الشديد، فتصبح شيئا مبهما لا يكاد يفهم إلا بمشقة.

هناك ظاهرة جديرة بالتسجيل تتعلق بالأدب في تلك الحقبة، وهي الالتفات من بعض الكتاب إلى موضوع الوطن والوطنية، بالمفهوم الحديث تقريبا؛ فقد كان الوطن من قبل ذائبا في جملة العالم الإسلامي أو دولة الخلافة، وليس له دلالة خاصة، وبالتالي ليس هناك كتابات تدور حوله وتتغنى به. أما الآن ومع كتابات رفاعة الطهطاوي بصفة خاصة، فنحن نجد فكرة الوطن تبرز، والتغني به يبدأ، حتى ليمكن أن يعتبر ما كان من ذلك حجر الأساس في الأدب المصري القومي في العصر الحديث. وهكذا نرى أن **رفاعة الطهطاوي** يعتبر واضع بذور التجديد في الأدب المصري الحديث، فأدبه يمثل دور الانتقال من النماذج المتحجرة التي تحمل غالباً عفن العصر التركي إلى النماذج المجددة التي تحمل نسمات العصر الحديث.

وكان لازدهار النثر الفني عوامل كثيرة من بينها: العناية بدراسة اللغة العربية وآدابها في الأزهر والمدارس والمعاهد والجامعات، وإحياء مصادر الأدب العربي القديم وطبع أحسن مؤلفات الأدباء المعاصرين، وظهور المجلات الأدبية، وعناية الصحف اليومية بالأدب، وإنشاء دارالكتب المصرية، وكثرة ما ترجم من آداب الغرب إلى العربية، وتعدد الثورات الشعبية، التي احتاجت للخطابة، وقيام الصحف مما دعا إلى نهضة الكتابة.

تطور النثر بعد الحرب العالمية الأولى، وظهر الاتجاه الأدبي الذي يدعو أصحابه إلى الأسلوب الفصيح الرصين الجزل، حتى يكون لأدبهم موقع حسن في الأسماع والقلوب، فهم يحرصون على الإعراب وعلى الألفاظ الصحيحة. وكانوا في إطار تجديد، لا يخرجون عن أصول العربية، ويقوم هذا الاتجاه على التحول والتطور في اللغة العربية على نحو ما تحولت وتطورت الآداب الأوربية، دون قطع صلتها بالقديم، ومن أصحابه في

مصر، **طه حسين، هيكل والعقاد**. وهذه النزعة المجددة كانت إحياء للقديم وبعثا وتنمية في صور جديدة، ويعتمد على عنصرين متكافئين وهما المحافظة على إحياء القديم والإفادة من الآداب الغربية .

وقد ظهرت، في أواخر القرن التاسع عشر، أربع طوائف في النثر وهي: *طائفة الأزهريين المحافظين*، *وطائفة المجددين المعتدلين* الذين يريدون أن يعبروا بالعربية دون استخدام سجع وبديع، *وطائفة المفرطين في التجديد الذين يدعون إلى استخدام اللغة العامية، ثم طائفة الشاميين*، التي كانت في صف الطائفة الثانية، واشتدت المعارك بين الطائفة الأولى والطوائف الأخرى، حتى انتصرت طائفة المجددين المعتدلين، فعدل الكتاب إلى التعبير بعبارة عربية صحيحة لا تعتمد على زينة من سجع وبديع، بل يعتمد على المعاني ودقتها.

وكان **محمد عبده** على رأس طائفة المجددين المعتدلين. وهو الذي أخرج الكتابة الصحفية من دائرة السجع والبديع إلى دائرة الأسلوب الحر السليم. وكوّن لنفسه أسلوبا قويا جزلا، ومرّنه على تحمل المعاني السياسية والاجتماعية الجديدة والأفكار العالية، ومعنى ذلك أنه طور النثر العربي من حيث الشكل والموضوع.

ثم جاء تلميذه **مصطفى لطفي المنفلوطي** فقطع بهذا النثر شوطا كبيرا بكتبه ومقالاته، فأنشأ أسلوبا نقيا خالصا ليس فيه شيء من العامية ولا من أساليب السجع الملتوية إلا ما يأتي عفواً، ولم يقلد في ذلك كاتبا قديما مثل **ابن المقفع والجاحظ** بل حاول أن يكون له أسلوبه الخاص، فأصبح النثر متحررا من كل أشكال قيود السجع والبديع، وبذا يعد المنفطوطي رائد النثر الحديث. وكانت الشهرة التي حظي بها المنفلوطي، تعزى إلى أسلوبه أكثر مما تعزى إلى مضمون مقالاته. وهو أدرك الحاجة إلى تغيير أساليب اللغة العربية، وكثيرا ما عبّر عن اعتقاده بأنّ سرّ الأسلوب كامن في تصوير الكاتب تصويرا صادقا لما يدور في عقله من أفكار.

دور الصحافة والطباعة في تطور النثر:

كانت للصحافة تأثير كبير في حركة التطور. ولئن كانت في المرحلة الأولى وسيلة السلطة فحسب، فقد غدت، فيما بعد، محرضا وباعثا على النهضة والتطور. وقد كانت تضم مقالات أدبية أو اجتماعية أو علمية، يفيد منها القراء. وأول من فكر في إنشاء صحيفة، **نابليون**، الذي أمر بإصدار ثلاث صحف، اثنتين بالفرنسية وواحدة بالعربية. ثم **أنشأ محمد علي باشا** جريدة رسمية باسم السلطة.

وللسوريين واللبنانيين سهم كبير في إصدار عدد ضخم من الصحف والمجلات كالأهرام والمقتطف والمقطم والهلال . وكانت الصحافة هي التي عادت بالكتابة الأدبية إلى أصالتها من حيث كونها خلصتها من التصنع والزخرف ورجعت بها إلى الوضوح ودقة التعبير وطوعتها من جديد للتعبير السمح عن خطرات التفكير ومشاعر الوجدان.

ففي حقل الصحافة استطاعت الصحف الاسلامية والوطنية أن تصل إلى طبقات واسعة من القراء. وازدهار الصحافة كان نتيجة نمو الحركات السياسية والاصلاحية واستعلاء الوعي القومي من ناحية والوعي الديني من ناحية أخرى. فأصبحت الصحف منابر لتلك الحركات والمنظمات التي تمثل مختلف الدعوات والمواقف الايديولوجية. وكان القصد عند هؤلاء وأولئك التأثير في الرأي العام والتعبير عن قضاياه. وبذلك يكون ظهور فن المقالة نتيجة من نتائج هذه العوامل كلها، من ظهور الصحافة، وظهور الرأي العام، وظهور الحركات السياسية والاصلاحية. فعاد الأدب إلى الحياة مرة أخرى يعبر عن قضاياه ومنازعها.

موضوعات النثر في عصر النهضة:

كانت موضوعات النثر واسعة الأفق، و تناولت مشكلات الحياة وما يهم الشعوب وما يبعث على اليقظة والنهضة ممثلة في:

1. الدفاع عن الشعوب المظلومة.
2. الدعوة إلى الأخذ بنظام الشورى في الحكم.
3. محاربة الاستعمار، وإثارة الحمية الوطنية في نفوس الشعوب المستذلة.
4. السعي في إصلاح المفاسد الاجتماعية.

خصائص النثر في عصر النهضة:

1. سلامة العبارة وسهولتها، مع المحافظة على سلامة اللغة وخلوها من الوهن والضعف.

2. تجنب الألفاظ المهجورة والعبارات المسجوعة، إلا ما يأتي عفواً ولايثقل على السمع.

3. تقصير العبارة وتجريدها من التنميق والحشو حتى يكون النثر على قدر المعنى.

4. ترتيب الموضوع ترتيبا منطقيا في حلقات متناسقة، وتقسيم المواضيع إلى فصول وأبواب وفقرات بحيث لايضيع القارئ، ويفهم تناسق الأجزاء ويتبع تسلسلها بسهولة .

أغراض النثر في عصر النهضة:

1. النثر الإجتماعي الذي يتطلب صحة العبارة، والبعد عن الزخرف والزينة، ووضوح الجمل، وترك المبالغات، وسلامة الحجج وإجراءها على حكم المنطق الصحيح، لأن الغرض منه معالجة الأمر الواقع، فلا ينبغي استعمال الأقيسة الشعرية، ولا الخيال المجنح.

2. النثر السياسي أو الصحفي، ويمتاز بالسهولة والوضوح بحيث يكون معناه في ظاهر لفظه؛ لأن الصحف تخاطب الجماهير، ويقرؤها الخاصة والعامة.

3. النثر الأدبي، وهو أشد أنواع النثر حاجة إلى تخير اللفظ، والتأنق في النظم، حتى يخرج الكلام مشرقا منيرا، لطيف الموقع في النفوس، حلو النبرة في الآذان، لأن للموسيقى اللفظية أثرا كبيرا في الأذهان. وهو أدنى أنواع النثر إلى الشعر.

من مجموع ما مضى يمكن أن نطلق على الأدب العربي في القرن التاسع عشر عصر الأدب الاتباعي الكلاسيكي، إلا أن الاتباعية فيه كانت ذات ثلاثة مستويات معرفية: الأول، يعتمد في نثره الأساليب الراقية الفنية في العصور العربية الزاهية، والثاني، كان امتدادا لعصور الانحطاط التي بدأت قبل سقوط بغداد فيما يخص التطور النثري فاكتسب طابعها، اغراق في المحسنات البديعية... وثالث مازج بينهما فكان في نثره يجمع بين كلا الطابعين الأدبيين.